

التكرار في لسانيات النص

أ.فاتح مرزوق*

تاريخ الإرسال: 04-11-2018 تاريخ القبول: 06-02-2020

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جانبا أساسا من جوانب الدرس اللساني النصي؛ هذا العلم الذي يعمل على إثبات المظاهر النصية والأسس التماسكية لأي نص، فقد تعددت المظاهر النصية في الدراسات النصية؛ فمنها ما يتعلق بالجانب النحوي ومنها ما يتعلق بالجانب الصري وغيرها؛ والهدف منها جميعا بيان الأواصر الدقيقة التي تحكم بناء النص، ومن بين هذه المظاهر والقرائن (قرينة التكرار التام) أي ما يتعلق بالجملة الفعلية والاسمية؛ هذه القرينة التي طرقها العلماء القدماء في جانبها النحوي والبلاغي، وكذا عدّ قرينة أساسا في التماسك النصي الحديث واتساقه.

الكلمات المفتاحية: التكرار، الاتساق، النص، التماسك.

Résumé: Cet article traite de l'aspect principal de la leçon linguistique du texte: cette science, qui vise à prouver les manifestations textuelles et les fondements cohérents de tout texte, contient de nombreuses manifestations textuelles dans les études textuelles, certaines liées à l'aspect grammatical, y compris celles relatives aux aspects morphologiques et autres; C'est le contexte utilisé par les anciens spécialistes dans ses aspects grammaticaux et rhétoriques, ainsi que la base de la cohérence textuelle. Moderne et cohérent.

Mots clés: répétition, cohérence, texte, cohérence

* جامعة مولود معمري، تيزي- وزو، الجزائر، البريد الإلكتروني: fatih28merzouk@gmail.com (المؤلف المرسل)

مقدمة:

اهتم علماء العربية بدراسة النص القرآني من كل نواحيه؛ حتى يكتشفوا خبايا وبلاغة هذا النص، ولعل كل هذه الدراسات انصبّت في جوانب متعدّدة منها ما خصّص في التركيب والآخر في المعنى، وهذا الأخير عني بقضايا مختلفة ومواضيع متوّعة، كان عليها حسن التثبيت كالتقديم والتأخير والوصل والفصل والإسناد وملتقات الفعل والتكرار والإطناب وغيرها من القضايا وكلّ هذه القضايا انصبّت على مستوى الجملة دون أن تتجاوزها؛ ولكن مع التطورات التي شهدتها السّاحة العلميّة من مناهج حديثة وآليات جديدة اهتمت واغتمت بمستوى أعلى وأسمى من الجملة وهو النص والخطاب؛ وذلك من خلال الروافد اللسانية الأوربيّة الحديثة؛ وإن كان منشؤها الدرس النحوي والصّريّ والبلاغيّ القديم؛ لذا اتجهت الدراسة الحديثة إلى العناية بالنص محاولين في ذلك تأسيس علم قائم فحواه على "النص" تقام عليه دراسة لسانية جادة تكشف خباياه وتعزله عن الجملة؛ فظهرت مصطلحات عدّة لعلم النصّ منها: اللسانيات النصيّة، علم النصّ، نحو النصّ، لسانيات الخطاب، متّجهة دراستها في معرفة مواطن سبك وحبك النصّ، وأهمّ القواعد الحاكمة له؛ فأضحت له أدوات وقرائن تُسهم في اتّساقه وانسجامه كالتكرار والتضام والإحالة والحذف والاستبدال وغيرها من القرائن.

ولعلّ من القرائن والأدوات النصيّة التي انضوت تحتها الدراسة اللسانية النصيّة " التكرار " هذه القرينة اللغويّة التي لقيت حظّها الأوفر من الدراسة والاهتمام في الدرس العربيّ القديم وفي البلاغة خاصّة، كما نجد لها رايةً في الدرس اللسانيّ النصّيّ كذلك؛ كونها ميزة لازمت الكتابات النثرية والشعرية خاصّة. فنجد مثلا الشعراء الرومانسيين يكثرون من هذه القرينة اللغويّة في

قصائدهم الشعريّة كنزار قباني وعبد الوهاب البيّاتي وشاعر القضية الفلسطينية محمود درويش؛ لأنها تعبّر عن موقف شعريّ وتجربة شعريّة؛ لذا نجد بعض النصوص تمتاز بقريّة التكرار وأخرى تفتقد إليها، وهذا الأمر نلمحه في القرآن الكريم؛ فنجد في بعض السور تكرارا وفي أخرى دونما أيّ تكرار؛ إذا التكرار يبني فكرة، ويلجّ على معنى، ويؤكد فحوى و به يسمو ويرقى.

من هذا المنطلق نطرح الإشكال: كيف يُسهم التكرار في اتساق النصّ؟ وما هي وظيفته اللسانية النصيّة؟ إلى أيّ مدى طبّقت هذه القرينة في الدراسة اللسانية؟

1. مفهوم النص:

تزوّدنا المعاجم العربيّة بمعانٍ متعدّدة للنصّ، وهي في مجملها تفيد الرّفْع والحركة جاء في لسان العرب: "النصّ: رَفَعَكَ الشّيء، نصَّ الحديث ينصُّه نصًّا رفعه، وكل ما أظهر، فقد نص. ونصّ المتاع نصا: جعل بعضه على بعض"⁽¹⁾.

ويذكر صاحب "القاموس المحيط: نصّ الشّيء: حرّكُه، ونصّ العروس أقعدها على المنصة" أما أساس البلاغة: فتقرأ في مادة (نصص) الماشطة تنصُّ العروس فتقعدها على المنصّة، وهي تنصص عليها، أي ترفعها و انتصّ السنام: ارتفع وانتصب قال مسكين الدرامي⁽²⁾

حتى علاها تامك شبيهته وانتص فنّدا

ويشتقّ النصّ (*test*) في اللّغات الأجنبيّة من الاستخدام الاستعاريّ في للفعل (*texture*) الذي يعني يحرك: (*weave*) أو ينسج ويوحى بسلسلة من الجمل والملفوظات المنسوجة بنيويا ودلاليا"⁽³⁾.

وعليه يتضح أن الدلالة الحديثة للنص لم تكن غائبة كلياً في المعجم العربي؛ فقد التقت مع الدلالة اللاتينية، وإن دُل هذا فإنما يدل على بلوغ الاكتمال في الصنع.

أما النص بمعناه الاصطلاحيّ مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر، وهو ليس وليد هذا الفكر، وإنما هو كغيره من مفاهيم كثيرة في شتى العلوم الحديثة بقول عبد المالك مرتاض: "وقد حاولنا أن نعثر على ذكر اللفظ في التراث العربي النقدي فأعجزنا البحث ولم يُفَضِّ بنا إلى شيء إلا ما ذكر أبو عثمان الجاحظ في مقدّمة كتابه "الحيوان" من أمر الكتابة بمفهوم التسجيل والتقييد والتدوين والتخليد لا بالمفهوم الحديث للنص"⁽⁴⁾.

وسأورد تعريفات أوردتها (محمد مفتاح) للنص حسب توجهات معرفية؛ فهناك تعريف بنوي وآخر نفساني دلالي وآخرها خاصّ باجتماعات الأدب... ليخلص إلى تعريف واحد في النهاية، أما هذه التعريفات فهي:

1/ مدونة كلامية: يعني أنه مؤلف من كلام؛

2/ حدث: أن كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين؛

3/ تواصلية: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب إلى الملتقى؛

4/ تفاعلي: أي إقامة علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع؛

5/ مغلق: أي انغلاق سمته الكتابية الأيقونة التي لها بداية ونهاية؛

6/ توالدي: إن الحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم وإنما هو متولد من أحداث

تاريخية ونفسية ولغوية وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له. فالنص إذاً

"مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"⁽⁵⁾

أمّا جوليا كريستفا فلقد عرّفت النّصّ تعريفاً جامعاً؛ إذ قالت: "نعرف النّصّ بأنّه جهاز نقل لسانیّ يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التّواصلیّ، نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة"⁽⁶⁾

ويعرّفه رولان بارت: "إنّه السّطح الظّاهريّ للتّناج الأدبيّ، نسيج الكلمات المنظومة في التّأليف والمنسقة؛ بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً"⁽⁷⁾.

ويتّضح ممّا سبق أنّ مصطلح النّصّ ذاته يمثل إشكالية معقّدة وكبيرة في التّقد الحديث؛ ذلك لأنّه لم يعد يقتصر على دلالاته المعجميّة والاصطلاحية المعروفة؛ بل راح يكتسب دلالات جديدة مع مصطلحات أخرى.

2. مفهوم لسانیات النّصّ:

حظّيت اللغة منذ القديم بنصيب وافر من الدّراسات من أهمّ وسائل الاتصال التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وأحدث دراسة في هذا الشّأن تعود إلى زيلينغ هاريس الذي قدم منهجاً لتحليل الخطاب المترابط؛ حيث استخدم فيه اللّسانیات الوصفية بهدف الوصول إلى اكتشاف بنية النّصّ (*structure of the text*) وقصر فيه الدّراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

كما يعود الفضل إلى العالم الهولندي "فان ديك / *Dijk*" الذي اعرض في كتابه "جوانب من علم نحو النّصّ / *Aspects of text grammar*" على النّحو التقليديّ من حيث أنّه لا يلبيّ المطلب التي تقتضيها دراسة النّصّ الأدبيّ"⁽⁸⁾.

لكنّ الفارق المميّز بين هاريس وفان ديك في دراسة العلاقات التّحوية بين الجمل في حقل اللّسانیات الشكليّة هو شمول الوصف التّحوي لهذه العلاقات

على المستوى السطحي والعميق دون الاختصار على التغيرات الطارئة على البنية الظاهرة كما يقرها التحويليون، ويحرص فان ديك على ضرورة الارتباط المنطقي في البحث على اتساق النصوص وانسجامها⁽⁹⁾؛ حيث استعمل فان ديك مفهوم الترابط للإشارة إلى علاقة خاصة بين الجمل والانسجام إشارة إلى عدم تأويل الجمل أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا الفائتة عليها "فالعلاقة بين الجمل محددة باعتبار التأويلات النسبية"⁽¹⁰⁾.

إن لسانيات النص: "فرع من فروع اللسانيات" يُعنى بدراسة مميزات النص من حيث حدّه وتماسكّه ومحتواه الإبلاغيّ التّواصلي⁽¹¹⁾، فقد حدّد هذا النصّ محاور اللسانيات النصّية في النقاط التالية:

- الحدّ و المفهوم وما يتصل بهما؛
- المحتوى التّواصليّ وما يرافقه من عناصر ووظائف لغويّة داخل مقام تواصليّ؛
- التّماسك والاتّساق أو ما نصلح عليه ب: "النّصية" مقابلًا للمصطلح الغربيّ (*Textualité*) تحتل مسألة النّصية هذه مكانًا مرموقًا في البحث اللسانيّ؛ لأنّها تجري على تحديد الكيفيّات التي ينسجم بها النصّ/الخطاب⁽¹²⁾، فاللسانيات النصّية تنطلق من أن النصّ "بنية نصّية متماسكة ذات نسق داخليّ تربط بين عناصره علاقات منطقيّة ونحويّة ودلاليّة"⁽¹³⁾.

فالنّص هو إنتاج مترابط متّسق ومنسجم وليس رصفاً اعتباريًّا للكلمات والجمل؛ ولذا نرى أن علماء لغة النّص، أولوا أهمية كبيرة للنص انطلاقًا من تعاريفهم له، فالنّص مثلاً عند برينكر: "تتابع متماسك من علامات لغويّة أو

مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى" (14).

3. مظاهر التكرار في لسانيات النص:

لا شك أن عالم النص يتعامل مع النص على أنه بنية كلية، ومن ثم يكون المدخل إلى التحليل عن طريق تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، فلقد عني علماء النص عناية كاملة بالتماسك كونه يجعلنا نفهم مكونات النص وعلاقته بما يفهم من الجمل الأخرى، فالنص عبارة عن لحمة متحدة ويذكر هاليداي ورقية حسن أن كلمة (النص) تستخدم في اللسانيات، لتشير إلى أي مقطع منطوق أو مكتوب، يشكل كلاً متحداً" (15)، كما رأى جون لاينز أن "على النص في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط" (16).

وهناك مظاهر وأدوات يتم بها السبك النصي أو التماسك النصي؛ وذلك كون السبك "يعني بالعلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، ومن بين هذه الأدوات المرجعية" (17)، فالسبك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة وأيضا بين العلاقات بين جمل النص وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب، ومن ثم يحيط التماسك بالنص كاملا داخليا وخارجيا" (18).

كما تعدّ آراء هاريس نقطة تحوّل إلى أهمية تجاوز الدراسات اللغوية من مستوى الجملة إلى مستوى النص والربط بين اللغة والموقف الاجتماعيّ مشكّلين بذلك اتجاها جديدا، وأخذت ملامح النصّ تتبلور، ثمّ عرف هذا الاتجاه بلسانيات النصّ أو اللسانيات النصّية أو نحو النصّ.

ومما ذُكر سابقا نلمح أنّ التحليل اللسانيّ يتجاوز نظرية التحليل النحويّ التقليديّ؛ حيث تتجلى مهامه في دراسة الخواص التي تؤدّي إلى تماسك النصّ وتعطي غرضا لمكونات النظام النّصّانيّ، وإن كانت مبعثرة "وقد حاول مجموعة من الدارسين العناية في وقت مبكر بدراسة النصّ تأسيسا لنظريّة شاملة تبحث في الترابط النّصيّ من حيث أشكاله ووسائله"⁽¹⁹⁾.

إنّ الحديث عن التماسك النّصيّ أو الترابط النّصيّ، يوجد في علاقة قائمة بين الجمل، وهذه العلاقة تقوم على مستويين هما المستوى النحويّ والمستوى المعجميّ، وإنّ الهدف من هذه المقاربة هو الكشف عن مدى فعالية الاتساق (السبك) وكذا إبراز حدوده⁽²⁰⁾.

وسأحاول أن استعرض قضية التكرار في لسانيات النصّ، وما هي منطلقات علماء لغة النصّ التي انطلقوا منها؟ حتى يجعلوا "التكرار" مظهرًا من مظاهر الترابط النّصيّ.

1.3. السبك المعجميّ:

1.1.3. التكرار: يعرفه هاليدي ورقية حسن التكرار بأنّه: "أية حالة تكرر يمكن أن تكون كلمة نفسها أو مرادفا أو شبه مرادف، كلمة عامة أو اسما عاما"⁽²¹⁾.

كما يقصد كذلك بالتكرار "تكرار لفظتين مرجعتهما واحد، فمثل هذا التكرار يعد ضربا من ضروب الإحالة إلى سابق"⁽²²⁾، بمعنى أن الثاني منهما يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطّرف الثاني من طرقيّ التكرار.

كما يطلق على التكرار "إعادة اللفظ": "وهو شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي"⁽²³⁾ ومما أورده الدكتور جميل عبد المجيد قال: "ويطلق البعض على هذه الوسيلة "الإحالة التكرارية" وتتمثل في تكرار لفظ أو عدة من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد"⁽²⁴⁾، وبالتالي فإن التكرار في ظاهر أمره يصنع ترابطاً بين أجزاء النص بشكل بَيِّن.

ولكن هذا لا يعني دوماً أنّ العنصر المكرّر له المحال إليه نفسه، بمعنى أنّه قد تكون بين العنصرين علاقة إحالية وقد لا تكون وفي الحالة الأخيرة نكون أمام علاقات أخرى فرعية (في علاقة التكرار نفسها)⁽²⁵⁾، وللتوضيح هذا يذكر هاليداي ورقية حسن المثال الآتي:

أغسل وانزع نوى ست تفاحات ضعها في صحن مقاوم للنّار

فالضمير (ها) في الجملة الثانية يحيل إلى (ست تفاحات) في الجملة الأولى كما أنه لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه، ومن ثم ترتبط الجملة الثانية بالأولى؛ مما يجعل هاتين الجملتين تشكلان نصاً، أو جزءاً من نص واحد، وإذا كان الضمير (ها) هنا قدم قام بوظيفية الإحالة القبلية والتي أدت إلى السبك فإنه يمكن أن يقوم بهذه الوظيفة التكرار، وذلك كالآتي:

اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضع التفاحات في صحن مقاوم للنار.

فقد تمّت الإحالة هنا من خلال تكرار لفظ (التفاحات) وبهذا يصبح "التكرار المعجمي" وسيلة من وسائل السبك"⁽²⁶⁾.

وتنقسم الإحالة من هذا المنطلق إلى نوعين رئيسيين:

أ- إحالة داخل النص / (داخل اللغة): وتسمى النصية؛

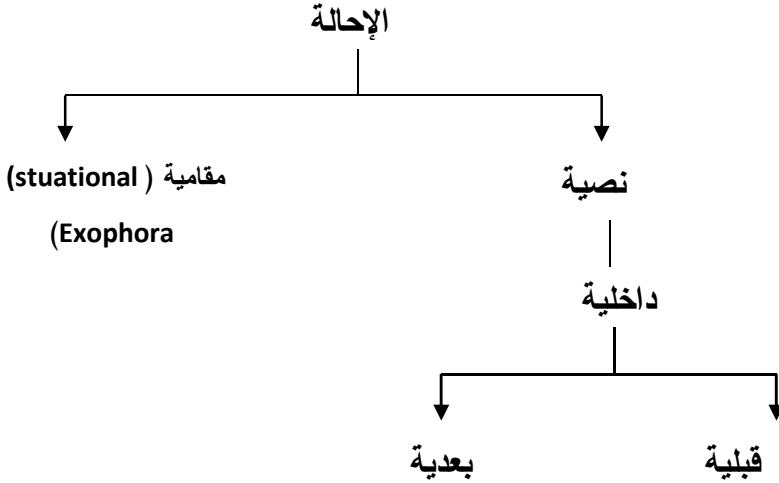
ب- إحالة خارج النص / (خارج اللغة): وتسمى المقامية.

أما الإحالة داخل النص فتقسم إلى قسمين:

أ- 1- إحالة على السابق أو إحالة بالعودة: وتسمى قبلية؛ وهي تعود على

مفسر سبق بعدية وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق

عليها، ويمكن الاستعانة بالشكل التوضيحي⁽²⁷⁾:



فالتكرار يعتبر أحد الكفاءة النصية أو المعيار الأهم في نصية النص؛ كونه

يُسهم في تماسكه ناهيك أنه علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر

يكون ضرورياً لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية.

وإعادة عنصر معجمي يقصد به تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، أي "تكرار تام" أو محض كما أشار دوبيوجراند ودريسلر إلى وظيفة أخرى فضلا عن السبب الذي يؤديها هذا التكرار في النصوص الشعرية هي تجسيد المعنى⁽²⁸⁾.

ومن التكرار مع وحدة المرجع في الشعر الحديث قول نازك الملائكة في قصيدتها أغنية للإنسان:

في عميق الظلام زمجرت الأمطار في ثورة وجن الوجود
طاش عصف الرياح والتهب البرق وثار على السكون الرعود
ثورة ثورة تمزق قلب الليل والصمت بالصدى بالبريق
ثورة تحت عصفها رقد الكون عميق الأسى كجرح عميق

فقد تكررت كلمة "الثورة" في الأبيات 1 - 2 - 3 بدلالة واحدة .

أما التكرار مع اختلاف المرجع كقول أبي نواس⁽²⁹⁾ مخاطبا الفضل بن الربيع:

وأبي فتى في الناس أرجو مقامه إذا أنت لم تفعل وأنت أخو الفضل
فقل لأبي العباس: إن كنت مذنبا فأنت أحق الناس بالأخذ بالفضل
ولا تجحدوا بي ودُّ عشرين حجة ولا تقسوا ما كان منكم من الفضل

فقد تكررت كلمة (الفضل) مع اختلاف المرجع، فدلالته في البيت الأول الفضل بن الربيع أخو جعفر (الممدوح)، وفي الثاني مقصود به السماحة، وفي الثالث ضد النقص، فقد تعدد المسمى مع التكرار الذي صنع ربطا بين الأبيات وأثار انتباه المتلقي.

أما التكرار الجزئي فيعني: "تكرار عنصر سبق استخدامه؛ ولكن في أشكال وفئات مختلفة"⁽³⁰⁾ كما في نص نازك الملائكة السابق (عميق

(الظلام) (جرح، عميق) (ثورة، ثارت) (البرق، البريق)

أما التكرار بالمرادف⁽³¹⁾ فيمكن أن يكون على نوعين :

أ . المرادف دلالة وجرس: وهو تكرار كلمتين تحملان معنًى واحداً وتشتركان في بعض الأصوات والميزان الصرفي مثل: مجيد= أثيل، يستره= يحجبه، جميل= مليح.

ب . الترادف دلالة لا غير: مثل: الحزن = الهموم، مذموم = محققر، السقم= العلة، العسل= الرحيق، السيف= المهند.

أما شبه التكرار: فهو كما أشار الدكتور سعد مصلوح أقرب إلى التوهم حيث تفتقد عناصره التكرار المحض، ويتحقق في مستوى التشكل الصوتي ليصنع نوعاً ما التماسك.

بعض الوحدات الصوتية، كما في قول الشاعر "أمل دنقل" في قصيدة (صلاة)⁽³²⁾ :

قد يتبدل رسمك والسّمك، لكن جوهرك الفرد لا يتحول

الصمت وشمك، والصمت وسمك

والصمت - حيث التفت - يرين ويسمك

والصمت بين خيوط يديك المشبكتين المضممتين

يلف الفراشة والعنكبوت

فالتأمل لهذا الجزء يجد تكرارات تملأ هذه الأبيات (رسمك، وشمك اسمك، بسمك) فهذا شبه تكرار غير أنه شدّ انتباه المتلقي، وصنع تماسكا

قويا بين أجزاء النص، حيث جاءت "السين" المتكررة بهسيسها الواضح، وقد أوحى "السين" هنا بالصلاة السرية التي لا يسمع فيها سوى صفيير "السين".

يظل هذا الشعور في جو النص مع تكرار "السين" الذي أدى إلى الربط بطريقتين:

1- طريقة التكرار

2- التواصل الدلالي بين أجزاء النص⁽³³⁾.

والأمر الجدير بالذكر أن ثمة دروساً درست على النهج الحديث، مطبقاً فيها الدراسة النصية كما فعل "الدكتور جميل عبد المجيد" في كتابه "بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية" والأمر نفسه نجده عند الدكتور "أحمد مداس" في كتابه "لسانيات النص (نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري)" حيث درس أحمد مداس قصيدة "الماء" لإيليا أبي ماضي، دراسة من جوانب عدة، وما يهمنا هو دراسة ظاهرة التكرار حيث يقول بعد فراغه من دراسة القصيدة "ويبدو تكرار القوافي ذا وظيفة معنوية ترجمت المعنى الخفي للصورة المتحولة فوظيفتها الحقيقية لا تظهر إلا إذا وضعت في علاقة مع المعنى"⁽³⁴⁾، ويعتبر أحمد مداس أن هذا التكرار في القوافي هو الذي يربط الاستعمالات بين الحالة الشعورية والانفعال الشعري "فالأمر يرد إلى اللاوعي وتبدل الذات عند الانفعال وهي الخاصة التي تتعدى القوافي إلى التكرير"⁽³⁵⁾.

فالتكرار يؤدي دوراً مهماً على المعنى اللغوي والموسيقى الشعرية، كما أنه أداء يبعث التأويل بين المسموع كصوت والدلالة التي تؤديها، وتوازنا بين التجنيس والترصيع⁽³⁶⁾، كما أنه أشار إلى "التكرار التام" في قوله "سلمى بما ذا تفكرين؟" وقد ورد في موضعين متباعدين، وتكرار غير تام مبني على

الاستبدال في قول الشاعر:

سلمى ...بم ذا تفكرين؟

سلمى ...بم ذا تحلمين؟

حيث استبدل "تفكرين" بـ "تحلمين"، كما يلفت النظر إلى "تكرار غير تام" في موضع آخر من قصيدة "قارئة الفنجان" للشاعر "نزار قباني":

ستجيب كثيرا يا ولدي

وتموت كثيرا يا ولدي

فهو ينحو إلى التكرير التام من جهة التركيب، ويعادل التوازي من جهة الدلالة، فالتركيب الأول يعطي معنى يخالف فيه الثاني، فسلمى شئت فكرها وللأول دلالة الهموم والمآسي وللثاني دلالة الانشراح ... تتكرر مأساة الموت بتكرر شعور الحب؛ فالتكرار تشاكل لغوي يلفت الانتباه ... كما أنه يبرز دور الموسيقى في بنية النص الشعري وعلاقتها بالدلالات المتنوعة التي تتولد عنها⁽³⁷⁾.

لكننا نجد وظيفة التكرار في الآية نفسها، مختلفة لدى ابن عاشور، قال: "أعيد خطاب بني إسرائيل بطريق النداء مماثلا لما وقع في خطابهم الأول لقصد التكرار للاهتمام بهذا الخطاب، وما يترتب عليه ... فللتكرار هنا نكتة جمع الكلامين بعد تعريفها ونكتة التعداد لما فيه إجمال معنى النعمة"⁽³⁸⁾.

ومن الأعلام الذين اهتموا بالتماسك النصي كلاوس برينكز في كتابه "التحليل اللغوي للنص" حيث تناول فيه الشروط النحوية للتماسك النصي، ومن بين هذه الشروط "التكرار" أو كما سماها هو "الإعادة" وبين صوراً للإعادة.

وهي نوعان: إعادة صريحة وإعادة ضمنية.

أ / الإعادة الصريحة: هي تطابق الإحالة لتعبيرات لغوية معينة في الجمل المتعاقبة لنص ما⁽³⁹⁾.

حيث يكرر تعبيراً معيناً (كلمة أو ضميمة مثلاً) من خلال تعبير أو عدة تعبيرات في الجمل المتتالية للنص في صورة مطابقة إحالية.

وإعادة تكون من خلال أسماء أو ضمائر اسمية، وضمائر، وسأورد بعض الأمثلة التي ذكرها "كلاوس برينكر" مصحوبة ببعض الشرح.

1/ كان رجل في الطريق على عجلة، وأراد أن يصعد جبلاً فرأى (هو) شيئاً ملقى على الأرض فتوقف عنده، كان الرجل يدعى أوبرستالن، ولم يكن يرى نفسه شيئاً ذا قيمة، ولم يكن (هو) ليلفت نظر أحد، وقد ضاق ذرعاً بالأضابير الرسمية.

2/ رمى هي أو المحامي من دوسلدورف البالغ 47 عاماً، يتهمه بأبشع التهم، ففعل رجل القانون قد دبّر اختطاف المليونير، وطالب مبتزاً أسرته بسبعة ملايين مارك.

3/ جرح رجل بالمعاش بالغ من العمر 79 عاماً في مساء الثلاثاء من سيارة جرحاً مميتاً، وخلال النهار عشر على المركبة المتلفة وثلاثة من ركابها.

4/ بطريقة غير مألوفة أراد من بفورثسايم عمره 43 عاماً أن ينتحر في مساء الثلاثاء وكما أخبرت الشرطة كان العامل الفني قد احضر من مسكنه إلى حجز اضطراري بعد مشاحنات.

توضح التّصوُّص أو القطع التّصيّبة أن صاحب الإحالة المتعين من خلال الاسم (في الأمثلة 1 - 2 - 3) صاحب الإحالة شخص، وفي المثال 03 صاحب الإحالة

شيء يمكن أن يعاد⁽⁴⁰⁾ فالواضح من خلال تكرار الاسم ذاته (رجل في المثالين النصين 1 و4) أو من خلال اسم أم عدة أسماء أخرى أو ضمائم اسمية (رجل القانون في المثال 02)، والمركبة في المثال 03، وكذلك التكرار من خلال ضمير شخصي محدد (ضمير الغائب هو في المثال 01).

وفي الأمثلة النصية (1 - 3 - 4) يتضح ورود صاحب الإحالة للمرة الأولى بإدخال اسم أو ضميمة اسمية علامتها نكرة (رجل).

فالتكرار عند برينكز له دلالات، ووروده ليس عشوائياً حيث يقول: "فإنه لا يفترض أن اختار الكلمات المتكررة يكون كيفما اتفق عشوائياً"⁽⁴¹⁾، والإعادة الصحيحة عند برينكز هي نفسها "التكرار"، سواء من خلال أسماء أو إعادة من خلال الضمائر، إذ يصرح بقوله: "و حين نغض النظر هاهنا عن الإعادة غير الإشكالية من خلال الكلمة، ما يسمى "التكرار"، فإنه يفرق بين حالتين على الأقل.

- إعادة من خلال أسماء أخرى؛

- إعادة من خلال الضمائر"⁽⁴²⁾.

كما قدم برينكز مخططاً يبين فيه "بنية الإعادة الاسمية"؛ وذلك باعتبارها بنية الربط النحوية للنص، حيث مثل له بتعليق الصحفي الآتي "حكم شجاع".

1- نطقت قاضية في محكمة ابتدائية في ميتمان بحكم شجاع، 2- فقد رفضت شكوى طالب ثانوي عمره 18 سنة، كان قد رحل عن منزله، وطالب والديه بمائتي مارك شهرياً نفقة له⁽⁴³⁾، 3- واشتكى الشاب بأن والديه لم يوضحا له (علة) عدم مناقشتهم معه حول الشيوعية، وأعلما صديقيه بحرمة البيت، 4- وبرغم ذلك، كما رأت القاضية يمكن أن يرتضى للشباب أن يضل

ساكنا في بيت والديه، ويلقى تسامحاً، 5- سيحدث الحكم لدى أسر كثيرة مناقشات حامية، 6- وهذا أمر حسن، 7- فبعض البنات والبنين لا يرون بشكل واضح في قانون بلوغ سن الرشد الساري منذ مطلع العام الماضي إلا حقوقهم، 8- فذلك القانون يعترف لهم بأن يتزوجوا في سن الثامنة عشرة ضد رغبة والديهم أو يتركوا المدرسة أو يبرموا تعاقدات، 9- بيد أن المزيد من الحقوق يعني أيضاً المزيد من الواجبات والمزيد من المسؤولية، 10- كتبت القاضية في "ماتيمان" للشباب الراشد في سرية أن التقنين الجديد ليس رخصة انطلاق في حياة بلا قانون 11- فما زال يجب أن يراعي الوالدين والأخوة، 12- إن التقنين الجديد الخاص ببلوغ سن الرشد تحدّ للجيلين، 13- من المؤكد أن بعض أولياء الأمور أيضاً يجب أن يُعلّموا ألا يعاملوا الآن أبناءهم وبناتهم البالغين معاملة الأطفال، 14- ولكن يجب أن يتوقع أيضاً من الشباب الذي نضجوا في وقت مبكر جسدياً وعقلياً أن يكونوا كما كانت الحال فيما مضى على وعي بالمسؤولية ومراعين لغيرهم⁽⁴⁴⁾.

فالإعادة (التكرار) عند "برينكز" تعد مبدأ أساساً في علم لغة النص؛ كونه مظهرًا من مظاهر التماسك النصي، ناهيك أنه مهم في تكوين النص ذاته والنص كذلك هو تتابعات جمالية متماسكة، كما لا بدّ أن تنظر إلى الجملة على أنها أهم وحدة في بناء النص ومفاد هذا التماسك وظيفته التواصل⁽⁴⁵⁾.

والجدير بالذكر أن المنطلق الذي انطلق منه "برينكز" في بناء النص واعتبار "الإعادة" أو التكرار وسيلة من وسائل التماسك النصي الذي ينطلق من تتابع الجمل ونظمها، يتناسب والتكرار "الجراماتيكي" الذي هو عبارة عن تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة، أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة

مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل⁽⁴⁶⁾.

فالتكرار ليس عشوائياً يوضع كيفما وُضع، وإنما يخضع لنظم الجمل، وما هو سابق له من الوحدات والجمل، فهي تُبنى بشكل متوازٍ في الشعر أساساً وفي النثر وفقاً لهذا المفهوم "وإذا حاولنا الربط بين مفهوم التكرار الجراماتيكي ومفهوم التوازي فإنَّ تكرار نظم الجمل يعدُّ نوعاً من التوازي في هذا المستوى".

فالتكرار مرتبط بالكلام الأول، وإذا ما كررت هذه الجمل زادت المتلقي جذبا وتأملاً وإحساساً بمعنى الترابط النصي⁽⁴⁷⁾.

❖ **التكرار التام في سورة القمر من الوجة اللسانية النصية: لعلَّ أهمَّ ما عُيِّت به لسانيات النص، هو تماسك النص ورصنه وسبكه وقد جعلت لهذا التماسك النصي، مظاهر و أدوات تسهم في تماسكه ورصنه، و من هذه المظاهر "التكرار"، و سنحاول أن نعرض هذا المظهر و ماله من أهمية في انسجام و اتساق النص، و لعل مما وقع عليه تطبيقنا سورة من سور القرآن الكريم سورة "القمر".**

ورد التكرار في سورة القمر في آيات أُحكمت إحصاءاً، و فصلت تفصيلاً و سأعرض هذا التكرار كما ورد في السورة ثم نبين موقع هذا التكرار في اتساق النص القرآني و تماسكه.

• الآية (8 - 1): بيان معارضة الكفار لمعجزة النبي صلى الله عليه و سلم و التكرار في هذه الآيات غير وارد.

• الآية (9 - 42). بيان تكذيب القرآن من طرف المعاندين، وقد ورد فيها التكرار حسب الفقرات التالية:

- **الفقرة الأولى:** الآية (9 - 17). بيان تكذيب قوم نوح بالرسول أشد تكذيب، تكررت فيه الجملة الاسمية في عقب آخر القصة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ سورة القمر الآية 17

- **الفقرة الثانية:** من الآية (18 - 21): بيان أمة أخرى وهي "عاد" وما آلوا إليه من العذاب وقد تكررت الجملة الاسمية مرة واحدة كذلك ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ سورة القمر الآية 22

- **الفقرة الثالثة:** الآية (23 - 32). بيان قصة ثمود وتكذيبهم للرسول وما آلوا إليه من استئصال بواسطة الطوفان، وتكررت فيها الجملة الاسمية مرة واحدة في خاتمة القصة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ سورة القمر الآية 32.

- **الفقرة الرابعة:** الآية (33 - 40). بيان قصة لوط، وما آلوا إليه من العذاب وهي الحجارة، و تكررت فيه الجملة الاسمية مرة واحدة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ سورة القمر الآية 40.

- **الفقرة الخامسة:** الآية (41 - 42). بيان قصة آل فرعون باختصار وما آلوا إليه من العذاب، وهذه القصة لم يرد فيها أي تكرار.

إن التكرار الوارد في هذه الآيات "هو تكرار محض" أو تام فقد حافظت الجملة الاسمية على بنيتها و مكوناتها في السورة كلها من استفهام و مبتدأ و يخبر مقدر "هناك"، وهذا التكرار الذي بدأ من بيان تكذيب المعارضين والمعاندين للقرآن والإعراض عنه، حيث ذكّرهم الله تعالى بأن القرآن ميسر ويفهم بيسر، راح يذكّرهم ويعظّمهم بذلك.

والمأمل للسورة يجد أن التكرار كان بشدة بعد كل قصة يوردها المولى عز

وجل ، مما جعل التكرار يؤدي وظيفته الاتساقية و التماسك بين الآيات ، فقد ربط هذا التكرار بتكرار قبله في قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ فكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴾ سورة القمر [الآية 109]. ولعل هذا التكرار قد مهد لتكرار رابط بعده في الجملة الاسمية ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

والتكرار المحض أو التام الذي تكررت فيه هذه السورة أسهم اتساق التصوير و بيان مشاهد العذاب الذي مرت به هذه الأقسام فالمولى عز وجل يعرض قصة من القصص ثم يعقبها بتكرار ، وهذا التكرار يجعل الإنسان يتصور ، و عليه فهو ربط بين القصة و تصويرها. ومما لا شك أن القرآن لم يعرض قصة أو مشهدا يأتي ما يوافقها من الجمل و الألفاظ؛ حتى يجعلها في أدق التناسق يقول سيد قطب: " إن القرآن يرسم صورا وبعض المشاهد ، فينبغي أن نقول: إن هذه المشاهد وتلك الصور، يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفني في ماء الصورة، وجو المشهد، وتقسيم الأجزاء، وتوزيعها في الرقعة المعروضة"⁽⁴⁸⁾.

فالتكرار أسهم في تصوير المشاهد مما يجعل الإنسان يتعظ بتصويره وتخيله لهذه المشاهد التي عرضت على هؤلاء الأقسام. وثمة تكرار بالمعنى في سورة القمر؛ وذلك كون السورة ارتبطت بالسور التي قبلها بالمعنى في سورة "النجم" في قوله تعالى: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ﴾ سورة القمر الآية 56 - 57. وفي هذا الصدد يقول سعيد حوي: "والملاحظ أن سورة القمر تبدأ بالكلام عن اقتراب الساعة ، وتتحدث عن مجموعة من النذر الأولى كما تتحدث عن القرآن فتتكرر به اللازمة ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ وهذا نجد أن سورة القمر ترتبط بالمعاني التي ذكرت في أواخر سورة النجم ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾⁽⁴⁹⁾.

فجمل القرآن الكريم و آياته منسجمةً انسجاماً رائعاً ناهيك إذا ما ورد فيها التكرار، وما أثر في النفس، فتركز إليه وتستجيب لأوامره و تنتهي عن نواهيه.

هوامش المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم قراءة حفص عن عاصم.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ص4441.

(2) هو ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم، شاعر عراقي من أشرف تميم، ولقب مسكينا

لأبيات قالها، له أخبار مع معاوية، وكان متصلاً بزياد بن أبيه، ومن شعره: [الطويل]:

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح.

ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة ص338-339.

(3) فاضل تمام، النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، مجلة الأقلام، عدد 3- 4،

سنة 1992، ص ص 16- 17.

(4) نقلا من كتاب: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1.

لبنان، بيروت: 2008، دار العربية للعلوم، ص 18.

(5) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، ط1، بيروت، لبنان: دار

التتوير، 1985، ص 120.

(6) جوليا كريستفا، علم النص، تر: فريد الزاهي: ط1. المغرب: 1991، دار توبقال،

(7) رولان بارت، نظرية النص، تر: محمد خيرى البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد

03، 1988، ص 89.

(8) إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ط1. عمان الأردن: 2007، دار المسيرة، ص 195.

(9) بوقرة نعمان، المصطلح اللساني النصي (قراءة تأصلية سياقية)، أعمال ملتقى "اللغة العربية

والمصطلح": يوم (19- 20) شهر مايو 2002.

(10) محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص)، ط2. الدار البيضاء، المغرب:

2006، المركز الثقافي العربي، ص 34.

- (11) أحمد مداس، لسانيات النَّص (نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007 ص 03.
- (12) نفسه، ص 03.
- (13) محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 88.
- (14) كلاوس برينكر، المرجع السابق، ص 29.
- (15) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية، د/ط: 1990، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 71.
- (16) نفسه، ص 71.
- (17) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النَّصي بين النظرية والتطبيق، د/ط. القاهرة: 2000، ج 1، ص 96.
- (18) نفسه، ص 37.
- (19) محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق، ص 88.
- (20) محمد خطابي، المرجع السابق، ص 237.
- (21) محمد خطابي، المرجع السابق، ص 237.
- (22) جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 79.
- (23) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النَّحوي، ط1. القاهرة، الشرق: 2001، مكتبة زهراء، ص 106.
- (24) نفسه، ص 106.
- (25) محمد خطابي، المرجع السابق، ص 237.
- (26) جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 79.
- (27) أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 118.
- (28) جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 80.
- (29) هو الحسن بن هاني، يكنى بأبي نواس، وهو أحد الملوك الذين تبدأ أسماءهم "بنو"، كان ضليعا في اللغة، قال فيه الجاحظ، "ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبي نواس"، ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط10. بيروت، لبنان: 2007، دار المعرفة، ص 198 - 199.

- (30) أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 109.
- (31) الترادف محل خلاف عند علماء اللغة المحدثين؛ حيث يقول بلومفيلد: "إننا ندعي أن كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنى ثابتا مختلفا عن الأخرى، ما دامت مختلفة صوتيا، فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك، وعلى هذا فنحن نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقي" والأمر نفسه نجده عند هاريس: "في إطار اللغة الواحدة لا يوجد ترادف، فالاختلاف الصوتي لا بد أن يصحبه اختلاف في المعنى"، ينظر: محمد قاسم أحمد الحمصي، جروس بُرس موجز علوم العربية، ط1. طرابلس، لبنان: 1994، ص 140.
- (32) أحمد عفيفي، المرجع السابق ص110.
- (33) نفسه، ص111.
- (34) أحمد مداس، المرجع السابق، ص 221.
- (35) نفسه، ص 221.
- (36) نفسه، ص 222.
- (37) نفسه، ص 227.
- (38) الطاهر عاشور، تفسير التحرير التنوير، د/ط. د/ت تونس: الدار التونسية، ج1، ص 482.
- (39) كلاوس برينكز، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ت: سعيد حسن بحيري، ط1. القاهرة: 2005، مؤسسة المختار، ص 38.
- (40) المرجع السابق، كلاوس برينكز، ص 40.
- (41) نفسه، ص 42.
- (42) نفسه، ص 42.
- (43) كلاوس برينكر، المرجع السابق، ص 52.
- (44) نفسه، ص 53.
- (45) نفسه، ص 27.
- (46) أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 111.
- (47) نفسه، ص 12.
- (48) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط17. القاهرة: 2004، دار الشروق، ص 114.
- (49) سعيد حوى، المرجع السابق، ص 5602.

